الدر النضيد

في أدب المفيد والمستفيد

تأليف الإمام الحافظ

أبي البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي العامري الشافعي الدمشقي

ت: ٩٨٤هـ (رحمه الله تعالى)

قدم له

فضيلة الشيخ أبو إسحاق الحويني

حققه وضبطه وعلق عليه

أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري

عفا الله عنه

مكتبة التوعية الإسلامية
للتحقيق والنشر والبحث العلمي
ت ٣٣٧٦٥٣٤٤ / ٣٣٧٧٨٧٧٢

حقوق الطبع والنشر محفوظة كافة على الناشر

طبعة عام ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٦/٢٢٤٤٢

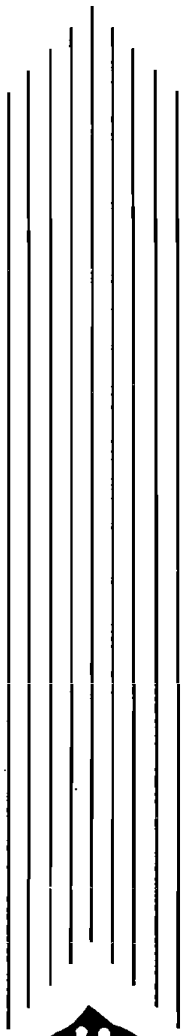

الناشر

مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي.

هاتف : ٣٧٧٧٨٧٧٢-٣٥٨٦٨٦٠٥ - ٣٣٧٦٥٣٤٤

محمول : ٠١٠٥٢٥٥١٤٠ / هاتف مصور : ٣٥٨٧٢١٧٦

المراسلات باسم : عماد صابر المرسي

ص . ب : ١٧٤ بريد الأهرام ، هرم ، الجيزة.

مقدمة الطبعة الثانية

الحمدُ لله نَحمده ونستعينه ونستغفره، ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونسأله الخيرَ كلَّه، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفسنا، ومن سيئَات أعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مُضلَّ له، ومَن يضلل فلا هادي له.

وبعد، فهذه الطبعة الثانية لهذا الكتاب الماتع الفريد وهو «الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد» وقد عثرت على نشرة جديدة لهذا الكتاب بتحقيق أ/ عبد الله محمد الكندري نشر دار البشائر الإسلامية ببيروت، وقد صدرت عام (٢٠٠٦م) وهذه النشرة اعتمد محققها على نسخة خطية واحدة، وهي من محفوظات الجامعة الأردنية تحت رقم (١/ ١٣٣) وهي إحدى النسختين اللتين اعتمدتُ عليهما في نشرتي للكتاب الصادرة في نفس العام، وهذه النسخة الخطية هي التي رمزت لها في تحقيقي بالرمز (ج).

ونظرًا لاعتماد المحقق على هذه النسخة فقط فقد شاب عمله خلل واضح، وهذا يبدو بصورة جلية لكل من نظر في الكتابين بحيث يمكنني أن أقول بأن كل ما أشرت له في تحقيقي أنه سقط من النسخة (ج) فقد سقط فعلًا من طبعة دار البشائر، وكل ما أشرت إلى أنه وقع خطأً في النسخة (ج) فقد وقع كذلك في نسخة دار البشائر، وهذا كما قلت يرجع لاعتماد المحقق على نسخة خطية واحدة، ومما عمَّق هذا الخلل وقوَّاه أن المحقق لم يراجع نصوص الكتاب أو لم يقابلها على المطبوع من كتب أهل العلم كما يظهر ذلك في التصحيف الواقع في أسماء الأعلام، وفي النصوص التي ينقلها المؤلف من كتب أصحابها.

* فهذه مواضع للسقط في نسخة دار البشائر، وهذا السقط منه كلمات وعبارات، وفي موضع آخر سقطت منه ورقة خطية كاملة، وهي بمقدار أربع صفحات من المطبوع.

راجع (ص: ٣٧، ٣٨، ٨٢، ٩١، ٩٣، ١١١، ٢٠٢، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٥٦، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٨٨، ٣٠٧، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٥١، ٣٧٤، ٣٨٢، ٣٩١، ٤١٤، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٦، ٤٤٩، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٩٣) من نسختنا نشر مكتبة التوعية الإسلامية.

* وهذه بعض مواضع للتصحيف الواقع في النسخة الخطية التي نُشرت عنها نسخة دار البشائر: راجع (ص: ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٦٦، ٦٩، ٨٢، ٨٨، ٩٢، ١٠٩، ١٢٣، ١٣٠) من نسختنا نشر مكتبة التوعية الإسلامية.

* * هذا وقد كنت كتبت في مقدمتي للطبعة الأولى أن «كتاب الدر النضيد» له مختصر صنعه العلموي[1]، ولم أقف عليه، ثم يسَّر الله الوقوف عليه، وهو نشر مكتبة الثقافة الدينية بمصر بتحقيق وتعليق الدكتور مروان العطية، واسم هذا المختصر «المعيد في أدب المفيد والمستفيد» ويسمى كذلك «العقد التليد في اختصار الدر النضيد» والكتاب يقع في (٣٨٢) صفحة، وقد نُشر قبل ذلك عام ١٣٤٩ هـ في دمشق نشر الأستاذ العلامة أمين التراث العربي أحمد عبيد.

وقد قال العلموي رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمته (ص: ٣٣): فهذه رسالة مختصرة جمعها العلامة شيخ الإسلام البدر محمد بن محمد بن محمد الرضي الغزي..... إلى أن قال: واختصرها كاتبها مسميًا لها بالعقد التليد في اختصار الدر النضيد، أو تسمى بالمعيد والمستفيد.

والعلموي رَحِمَهُ اللَّهُ لم يبين منهجه في اختصار الكتاب، وبتتبع كتابه المختصَر رأيت أنه ذكر كثيرًا من نصوص الكتاب كما هي، وفي بعض المواضع يذكرها بالمعنى، وفي بعض المواضع زاد من عنده أشياء ولم ينبه على ذلك، وفي بعض المواضع حذفها وجاء بكلام جديد من عنده.

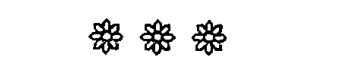

(١) عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموي المتوفى سنة (٩٠١١ هـ) راجع ترجمته في الكواكب السائرة في تراجم المئة العاشرة (٢٨٤/٢) لنجم الدين الغزي، وكشف الظنون (ص ٤٨٧) لحاجي خليفة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ أبو إسحاق الحويني ـ حفظه الله تعالى ـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

*﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

*﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾.

*﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ .

أما بعد . . .

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

وبعد : فكلام السلف في باب الأدب كثيرٌ نافعٌ ، منه ما رواه

الخطيبُ ـ رحمه الله ـ من قولهم : « علم بلا أدبٍ ، نار بلا حطبٍ » وفيه بيانٌ واضحٌ أنَّه لا يستفاد بعلم العالم إلاَّ إذا اكتنفه قانونُ الأدب ، وهو الذي يسميه بعضهم بـ « الحشمة » وأقولها ـ بكل أسًى ـ إن النهضة العلمية في ديار المسلمين لم تصحبها نهضةٌ أخلاقيةٌ مناسبةٌ كافيةٌ لقلَّة المربين ، لاسيما على قانون السلف الماضين ، وقد رأيتُ بعض من تصدر في هذا الباب يربي ولكنه خلط التربية السلفية بالتربية الصوفية، فالشيخ عنده كأنه معصوم لا يخطئ ، والطالب كأنه ميِّت لا اختيار له ، ويستدلُّ على كلامه بأقوال وأحوال نقلت عن أهل العلم الكبار ، فيجعل من قلة الأدب أن يبري الطالب قلمه في حلقة الدرس ، اتكالاً على ما ذكروه أن عبد الرحمن بن مهديٍّ كان لا يسمح بذلك .

ويجعل من قلة الأدب أن يصفح الرجل كتابه في حضرة الشيخ ، إذا كان لصفح الورقة صوت ، اتكالاً على قول الشافعي : كنت أصفح الورق صفحاً رفيقاً لئلا يؤذي صوته سمع مالكٍ .

ويجعل من ضحك الرجل علامة على غفلته عن الآخرة ، اتكالاً على أن بعض السلف ـ وأظنه يقصد : سعيد بن السائب من رواة « التهذيب » ـ كان لا تجفُّ له دمعةٌ ، إنما دموعُهُ جاريةٌ دهره ؛ إن صلى بكى ، وإن طاف بكى ، وإن جلس يقرأ في المصحف بكى ، وإن لقيته في الطريق فهو يبكي.

إلى آخر هذه الأحوال .

والاستدلالُ بهذه الأخبار على قانون التربية السلفية فيه نظر عريض عندي ؛ لأن الصحيح في هذا الباب أن ننظر إلى القرون الثلاثة الفاضلة بدءاً من القرن الأول الذي يمثله أصحاب النبي ﷺ فكل ما جاء بعد هذه القرون ينبغي عرضُهُ عليها ، فما خالفها فينبغي طرحُهُ أو تنزيله على واقع مخصوص .

فنسأل الذي يجعل بَرْيَ الطالب قلمه من قلة الأدب لفعل ابن مهدي : ماذا يفعل الطالب إذا احتاج إلى ذلك ؟ إما أن يترك الكتابة لنفاد سِنِّ قلمه ، وإما يحمل معه عدّة أقلام ، وكلاهما غير مقبول . وكذلك حكاية الشافعي مع مالكٍ ، فهذا شئٌ رآه الشافعيُّ أدباً فامتثله ، ولا لوم عليه في ذلك ، وهو يدلُّ على كمال أدبه ، وشدَّة تحريه ، فأرضى بذلك شيئاً عنده تجاه أُستاذه ، فترك أذيَّته ولو بمثل هذا الشيء الذي لا يكاد يخطر لطالب علم .

نعم ، لو قال الاستاذ لطالب : لا تؤذني بصفح الورق . لكان عليه أن يمتثل ، لاحتمال أن يكون هذا الفعل مما يزعج الأستاذ ويشتت قلبه. وقس على ذلك .

فالذي ينبغي أن يكون قانوناً في التربية هو ما تكرر ذكره على

ألسنة العلماء ـ بدءاً من الصحابة ـ واشتهر فعله ، وكلهم في ذلك يأتسي بالنبي ﷺ .

والكلام طويل الذيل ، وددت لو أني تفرغت له ، ولكن أخانا ... أبا عمر عماد بن صابر المرسي حفظه الله ، استحثني على كتابة مقدمة لهذا الكتاب وأنا في طريقي إلى الحج ـ يسره الله تعالى ـ فكتبت هذه الكلمات على قله فراغ بالٍ ، وكثرة هموم ـ فرّجها الله العظيم بلطفه ـ وقد تكلمت كثيراً في هذه المعاني في دروسي العلمية ، وآمل من بعض الطلبة أن يجمعها من الأشرطة لنشرها ، بعد عرضها عليَّ [1] .

والله أسأل أن يرزقنا فهماً في كتابه وسنة نبيه ﷺ وأن يقيمنا على طريق الاتباع الذي لا يتم إلا بالأدب والعلم . وصلى الله وسلم على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين .

وكتبه أبو إسحاق الحويني

الأحد / غرة ذي الحجة / ١٤٢٦هـ

---

(١) وقد قمنا ـ والحمد لله تعالى ـ بجمع ماتناثر من هذه المعاني من الدروس العلمية للشيخ ـ حفظه الله تعالى ـ وأصدرناها في عدة أشرطة سمعية تحت عنوان : « القراءة والتعلم ضوابط ومحاذير » وسنوالي جمع الباقي ، وسيتم جمع كل ذلك في كتاب حافل بعون الله تعالى ..... الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

وبعد، فإن طلب العلم ونشره بين الناس أشرف ما أنفقت فيه الأنفاس، فهو زين وتشريف وعز لأهله، وهو الكرم والمجد والنبل، والعلم صفة اتصف الله عز وجل بها، وتفضل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بها فقال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

بالعلم والعقل لا بالمال والذهب ... يزداد رفع الفتى قدراً بلا طلب

فالعلم طوق النهى يزهو به شرفًا ... والجهل قيد له يبليه باللعب

كم يرفع العلم أشخاصًا إلى رتب ... ويخفض الجهل أشرافًا بلا أدب

العلم كنز فلا تفنى ذخائره والمرء ما زاد علمًا زاد بالرتب
فالعلمَ فاطلب لكي يجديك جوهره كالقوت للجسم لا تطلب غِنى الذهب

* * *

العلم زين فكن للعلم مكتسبا وكن له طالبًا ما عشت مكتسبا
اركن إليه وثق بالله واغنَ به وكن حليمًا رزين العقل محترسا
وكن فتى سالكًا محض التقى ورعًا للدين مغتنمًا في العلم منغمسا
فمن تخلق بالآداب ظل بها رئيس قوم إذا فارق الرؤسا

أهل العلم، ما أهل العلم، ثم ما أدراك ما أهل العلم، أشرف الناس، وأعز الناس، وأغنى الناس، وأعرفهم بالله وأقربهم إليه، هم الأمناء بين الله وبين خلقه، ومجالسهم هي مجالس الأنبياء، ففيها يذكر الكتاب والحكمة.

أهل العلم هم أولياء الله في كل زمان ومكان، فبهم يحفظ الله البلاد والعباد، حتى إذا رُفع العلم واتخذ الناسُ رءوسًا جُهَّالاً أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا - أذن الله عندئذ بزوال العالَم ومَحْقِه وتدميره.

كان أئمة العلم يقدِّمون العلم وطلبه وكتابته على نوافل العبادات، ويقولون: ما تقرب العباد إلى الله بعد الفرائض بشيء أحب إلى الله من طلب العلم.

من قاس بالعلم الثراء فإنه في حكمه أعمى البصيرة كاذبُ
العلم تخدمه بنفسك دائمًا والمال يخدم عنك فيه نائبُ
والمال يُسلب أو يبيد لحادث والعلم لا يخشى عليه السالبُ
والعلم نقش في فؤادك راسخ والمال ظل عن قنائك ذاهبُ
هذا على الإنفاق يغزر فيضه أبدًا وذلك حين تنفق ناضب

أول ما جاء به الوحي إلى النبي ﷺ الأمر بالعلم فقال له: ﴿اقْرَأْ﴾.

والتوحيد ومعرفة الله والإيمان به قاعدته العلم قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ فبدأ بالعلم قبل العمل الذي هو الاستغفار.

قال البخاري في «صحيحه»: باب العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ فبدأ بالعلم، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، وَرَّثوا العلم من أخذه أخذ بحظٍّ وافر، ومن سلك طريقًا يطلب به علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وقال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾. اهـ.

وما أحسن ما قاله بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة (٣٩٨هـ) في وصف العلم حيث قال:

«العلم شيء بعيد المرام، لا يُصاد بالسهام، ولا يُقسم بالأزلام، ولا يُرى في المنام، ولا يُضبط باللجام، ولا يُكتب للئام، ولا يُورث عن الآباء والأعمام.

وزرع لا يزكو إلا متى صادف من الحزم ثرىً طيبًا، ومن التوفيق مطرًا صيِّبًا، ومن الطبع جوًّا صافيًا، ومن الجهد رَوْحًا دائمًا، ومن الصبر سُقيًا نافعًا.

وغرضٌ لا يُنال إلا بافتراش المدر، واستناد الحجر، ورد الضجر، وركوب الخطر، وإدمان السهر، واصطحاب السفر، وكثرة النظر، وإعمال الفكر». اهـ.

وقال بعض السلف: العلم لا ينفد ولا يبيد، ولا يندم حامله، ولا يعطب من تمسك به، ولا يفتضح من انتسب إليه، ولا تسقط منفعته، ولا يخسر جامعه.

العلم نسب أهله إذا ما انتسب الناس.

العلم سبب في حياة العباد الباقية الأبدية في نعيم الله ورحمته ورضوانه.

والعلم يحرس ويصون.

والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يطلب ويصنع.

والعلم صدقة جارية يجري أجرها لصاحبها وهو في قبره إلى يوم البعث.

الفقيه المجتهد العامل أشد على الشيطان من ألف عابد، لا يستطيع الشيطان أن يقربه لا من باب الشبهات ولا من باب الشهوات، فهو على بصيرة من أمره، قد يئس الشيطان منه وعلم أنه بعيد المنال منه، فتراه يقول: لا أضيع وقتي معه فإنه قد فاتني.

العالم العامل العابد التقي لا يبعد أن يكون من المخلَصين الذين أخلصهم الله لنفسه، فيصير العبد بعلمه وعمله الصالح مستخلصًا لله، فهو مستخلص من الشيطان وشره وكيده.

العبد العالم العامل أبعد الناس عن كل باب فتنة وشر يفتحه الشيطان ليلج الناس منه إلى النار، فكلما فتح الشيطان باب شهوة أو شبهة رأيت الجاهلين أسرع الناس إليه وأكثر انكبابًا عليه وأحرص على الولوج فيه، أما الذين أوتوا العلم والإيمان فحالهم غير ذلك، وهذا ما حكاه الله في كتابه ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ يعني صاحب مال وجاه وسلطان وعز، فتمنوا أن يكونوا مثله، وهذا حال الجاهلين، وأما الآخرون ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

والعلم أنفس شيء أنت ذاخره ... فلا تكن جاهلاً تستورث الندمَا
تعلم العلم واجلس في مجالسه ... ما خاب قط لبيب جالس العُلَمَا

* * *

العلم أشرف شيء قاله رجل ... من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا
تعلم العلم واعمل يا أُخيَّ به ... فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

* * *

العلم مبلغ قوم ذروة الشرف ... وصاحب العلم محفوظ من التلف
يا صاحب العلم مهلاً لا تدنسه ... بالموبقات فما للعلم من خلف
العلم يرفع بيتًا لا عماد له ... والجهل يهدم بيت العز والشرف

والعلم كما لا يخفى ـ له آدابه وأخلاقه التي يجب على طالب العلم أن يتأدب بها ويتخلق بها فإن العلم من غير أدب ولا أخلاق فيه دَخَن بل قد يضر صاحبه، وكذلك المعلم يجب عليه أن يعرف ما عليه من الآداب والأخلاق التي يجب عليه مراعاتها والعمل بها حتى يكون عالمًا معلمًا كما يحب الله ويرضى، ولكل واحد منهما ـ يعني العالم والمتعلم ـ آداب في نفسه ومع الآخرين، وبينهما آداب مشتركة تجب على كل منها سواء كالإخلاص، وهو الباب الذي بدأ المصنف به كتابه.

وهذا الكتاب وضعه مصنفه لبيان ذلك كله، فإلى التعريف به.

* * *

التعريف بالكتاب

* اسم الكتاب:

«الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد»؛ أما «الدُّر» فهو اللؤلؤ ومفرده: دُرَّة، وهي اللؤلؤة العظيمة كما قال أبو بكر بن دريد: هو ما عظم من اللؤلؤ، وتجمع كذلك على «دُرَّات».

و«النضيد» هو المرصوص، فَعِيل بمعنى مفعول، نضَّد الشيء أي جعل بعضه على بعض متسقًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ وقوله ﴿طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ أي منضود.

و«أدب»[1] اسم جنس، ومعناه مجموعة الآداب الواجب على المتعلم والمعلم أن يتحلَّيا بها.

و«المُفيد» اسم فاعل من أفاد، وهو المعلم، وأطلق عليه المفيد؛ لأنه يفيد غيره بما عنده من فوائد علمية[2].

و«المستفيد» اسم مفعول، والمقصود به المتعلم.

* مادة الكتاب:

هذا الكتاب من الكتب التربوية التي لا يستغني عنها طالب علم أراد بعلمه الله عز وجل والدار الآخرة، وقد اعتنى أهل العلم بهذا الجانب التربوي والأخلاقي لتهذيب أخلاق المعلم والمتعلم، وللتنبيه على الإخلاص في العلم، وللتأدب مع المعلم فإنه قائم مقام الرسول ﷺ، ولتنبيه المعلم على أن المتعلمين بمنزلة أولاده وهم من رعيته وهو وليهم.

---

(١) وقع في النسخة (د): «آداب»، وهو خطأ، والمثبت من طُرَّتي النسختين الخطيتين.

(٢) وسيأتي في هذا الكتاب أن العلم لا بد له من معلِّم، وأن من تعلَّم من الكتب أو من بطون الكتب ضيع الأحكام، ووقع في خطأ الأفهام، ووضع الأمور في غير نصابها، وولج على العلوم من غير بابها.

وهذا النوع من التصنيف قصد به، ترتيب وتنظيم علاقة المتعلم بالله أولاً، ثم تنبيهه على أدبه في نفسه ومع رفقائه وأقرانه وفي مجلس الدرس بين يدي المعلم وعلى أدبه مع المعلم مطلقًا، بل وتنبيه المتعلم كذلك على أدبه مع كلام أهل العلم وكتبهم.

وكذلك المعلم له أدب مع الله، وأدب مع نفسه، وأدب مع رفقائه وأقرانه، وأدب مع تلاميذه المستفيدين، وقد جمع المصنف رحمه الله هذه المادة التربوية كلها تنبيهًا وتذكرة للمشتغلين بالعلم.

العلم يغرس كل فضل فاجتهد ... ألا يفوتك فضل ذاك المغرسِ
واعلم بأن العلم ليس يناله ... من همه في مطعم أو ملبسِ
إلا أخو العلم الذي يزهو به ... في حالتيه عاريًا أو مكتسي
فاجعل لنفسك منه حظًّا وافرًا ... واهجر له طيب الرقاد وعبِّس
فلعلَّ يومًا إن حضرت بمجلس ... كنتَ الرئيس وفخر ذاك المجلس

* منهج المصنف في الكتاب:

لا شك أن المنهج السديد والطريق الرشيد في التصنيف أن يعتمد المصنف أولاً على كتاب الله عز وجل الذي جمع الخير كله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ ولهذا فإن المصنف يسوق أولاً الأدلة من كتاب الله عز وجل على ما يريد التنبيه عليه ولا يكتفي بآية واحدة بل يجمع معظم الآيات الواردة بخصوص المسألة التي يتكلم فيها كما صنع مثلاً في كلامه عن إخلاص النية في طلب العلم.

ويأتي بعد القرآن في الذكر، ولكنه معه في المرتبة: سنة النبي ﷺ، فيسوق المصنف الأحاديث المرفوعة عن النبي ﷺ تترى، مع ذكره من خرجه من أصحاب المصنفات، وقد أحسن في ذلك رحمه الله، فإنه يعزو كل حديث لصاحبه من أصحاب المصنفات.

ونظراً لأن مادة الكتاب تربوية ترىٰ أن معظم الأحاديث تتعلق بفضل العلم أولاً، ثم بمادة الكتاب الأخلاقية مثل حسن الأخلاق ومكارمها والتحذير من سيئها، ومثل الزهد في الدنيا والتقلل من علائقها، ولذلك ذكر المصنف رحمه الله عدة أحاديث ضعيفة، ولا عتب عليه في ذلك فصنيع أهل العلم يدل علىٰ التساهل في رواية أو ذكر الأحاديث الضعيفة في هذه الأبواب كما روي عن الإمام أحمد، وصنيع البخاري في «صحيحه» يدلُّ علىٰ التخفيف أو التساهل في مثل هذا كما ذكر الحافظ ابن حجر، وبينت ذلك تفصيلاً في عدة مرات من هوامش هذا الكتاب، ونص ابن عبد البر علىٰ أن هذا هو صنيع العلماء في ثلاثة مواضع من كتابه «جامع بيان العلم و فضله».

ويأتي بعد الكتاب والسنة؛ أقوال الصحابة والتابعين والأئمة، مع ذكر الأشعار المستحسنة التي تطرب لها النفس المؤمنة.

*** موارد المصنف في الكتاب:**

ذكر المصنف رحمه الله أنه اعتمد علىٰ كلام النووي الذي وضعه في مقدمة كتابه العظيم الحافل «المجموع في شرح المهذب»، فإن النووي رحمه الله قدَّم لشرح المجموع بمقدمة رائقة في الحسن والبيان وجودة التصنيف والتبويب، ذكر فيها فضل العلم وفضيلة الاشتغال به ثم أدب طالب العلم والعالم وغير ذلك مما يتعلق بالاشتغال بالعلم، فهذا هو المصدر الأول للمصنف رحمه الله.

وممن اعتمد علىٰ كلام النووي في «مقدمة المجموع» وجعله أصلاً لكتابه: بدر الدين بن جُماعة الكناني الشافعي قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المتوفىٰ سنة (٧٣٣) في كتابه «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم» ولكنه لم يصرح بذلك وإنما قال: «وجمعت في ذلك مما اتفق في المسموعات أو سمعته من المشايخ السادات أو مررت به في المطالعات أو استفدته في المذاكرات... وقد جمعت فيه بحمد الله من تفاريق آداب هذه الأبواب ما لم أره مجموعًا في كتاب..». اهـ.

وبدر الدين الغَزِّي رحمه الله نقل عدة مرات من كتاب ابن جُماعة «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم»[1] ومن ذلك ما: نقله في آداب المعلم في درسه (د٣٦/أ)، (٣٧/أ).

ومن ذلك ما نقله عنه في آداب المعلم (د٤٠/ب)، (٤٧/ب)، (٥٠/أ)، (٥٠/ب)، (٥١/أ)، (٥٤/أ)، (٥٥/أ)، و(٥٧/أ)، (٩٠/أ).

ومن موارد المصنف التي اعتمد عليها بكثرة كتابَيْ الخطيب البغدادي: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، و«الفقيه والمتفقه»، وكتاب البيهقي «المدخل إلى السنن الكبرى».

وممن نقل عنه كثيراً الإمام أبو حامد الغزالي، فإنه نقل عنه عدة نقولات من كتابه «الإحياء» وغيره من كتبه مثل «إلجام العوام عن علم الكلام»، و«فاتحة العلوم».

ومن موارده «طبقات الشافعية الوسطى» لابن السبكي، وقد ذكره عدة مرات في كتابه، راجع (د٥٨/أ)، (د٨٣/ب)، (٨٤/ب)، (٨٦/ب)، (٩٨/أ)، (١٠٠/أ).

ومن موارده أيضًا: «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للسخاوي.

ومنها «آداب الشافعي» لابن أبي حاتم، و«مناقب الشافعي» للبيهقي، و«المحدث الفاصل» للرامهرمزي، و«الإلماع» للقاضي عياض، و«الغياثي» لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني، و«أدب المفتي والمستفتي» لابن الصلاح، وكتب الإمام الكبير شيخ الإسلام - في وقته - الشيخ أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري رحمه الله تعالى.

---

(١) وقد طبع فيما رأيت طبعتين؛ الأولى بتحقيق وتعليق السيد محمد هاشم الندوي، وهي طبعة حسنة وقد دبج المحقق الكتاب بعدة تعليقات زادت من حسن الكتاب ولكنه لم يتكلم على الأحاديث وتخريجها وبيان الصحيح منها والضعيف، والثانية بتحقيق أخي في الله وصديقي وقريني عبد السلام عمر علي الجزائري، وهي طبعة حسنة كذلك، وقد قام الأخ عبد السلام بتخريج الأحاديث والكلام عليها تخريجًا مطولاً حسنًا بين فيه صحيح الحديث من ضعيفه مع إضافة بعض التعليقات اليسيرة.

ومن موارده في كتابه هذا ما خلفه أبوه الشيخ الإمام رضي الدين محمد بن محمد بن عبد الله الغزي العامري الدمشقي، فإنه نقل عنه كثيراً.

* أهمية هذا الكتاب:

مما لا شك فيه أن كل إمام من أئمة أهل العلم إذا صنف في باب معين فإنه يزيد فيه ما لم يذكره من سبقه في التصنيف في هذا الباب نفسه، ويحاول كذلك جمع شتات المسائل المتشابهة والمنثورة في بطون الكتب بطريقة تزيد حسنًا على من مضى، وهذا ما فعله بدر الدين الغزي رحمه الله.

والناظر في كتب الخطيب والبيهقي وابن عبد البر وما كان على شاكلتها يجد في كل واحد منها ما ليس عند الآخر، فلو اجتمع الزائد عند كل واحد منهم في مصنف واحد لكان أهنأ وأروح وأقرب وأسهل للطالب، وهذا مافعله بدر الدين الغزي رحمه الله. فصار تصنيفه بهذه الطريقة الحسنة مغنيًا لطالب العلم عن هذه الكتب السابقة فإنه تضمن ما فيها وزاد عليها زيادات حسنة بديعة من كلامه وكلام والده رضي الدين الغزي وغيره من أهل العلم.

ومما استفاده من والده وذكره ههنا البيتان في آخر الكتاب في حب النبي ﷺ والتقرب إلى الله بذلك. واستفاد منه كذلك في منظومته المسماه «الدرر اللوامع».

ونقل عنه عدة أبيات في ذم كثرة الطعام بدأها بقوله:

في كثرة الأكل ياذا العقلِ والنظرِ خمسون آفة كن منها على حَذَر

واستفاد من أرجوزة والده «نظم القلائد» يعني «قلائد العقيان فيما يورث الفقر والنسيان». وألَّف والده كتابًا في «الخلاف» استفاد منه في ذكر الرموز التي تشير لاختصار أسماء الأئمة والكتب.

وسمع من أبيه بنفسه قوله:

إلهي سيدي ربِّي أغِثْني وخُذْ بيدي ومن بَعْدُ أجِرني

ومن ميزات الكتاب وفوائده الفصل الذي عقده لذكر طائفة من مناظرات الأئمة عقب الباب الخامس المتعلق بشروط المناظرة وآدابها وآفاتها، وهو باب مفيد جداً لخصه من كلام الغزالي تلخيصًا حسنًا، ويتمثل حسنه في شيئين:

١ـ اختصار وتهذيب كلام الغزالي والإبقاء على النافع المهم فقط.

٢ـ بيان آداب وآفات المناظرة لطالب العلم، فإن الخطيب البغدادي، والبيهقي، وابن عبدالبر لم يتكلموا فيها.

ومن هذه المناظرات: مناظرة الشافعي مع مالك، ومحمد بن الحسن، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، ومناظرة ابن سريج ومحمد بن داود، ومناظرة الأشعري والجبائي، وقد جمعها المصنف جمعًا حسنًا، فإنها جاءت متفرقة في «آداب الشافعي» و«مناقب الشافعي» و«طبقات الشافعية».

ومن ميزات الكتاب وفوائده: تلك الخاتمة الرائعة التي ختم بها الكتاب جريًا على عادة أهل العلم كما قال، فإنها تروح عن نفس القارئ بعد أن قطع شوطًا من القراءة والمذاكرة والحفظ، وكان هذا دأب السلف في مجالسهم لرفع الملل والضجر عن طلاب العلم.

فهو وعاء مُلئ علمًا، وظَرف حُشي ظُرفًا، فهو ينطق عن الموتى، ويترجم كلام الأحياء، ففيه من التدابير الحسنة والعلوم الشرعية الحميدة ومن آثار العقول الصحيحة، ومحمود الأخبار اللطيفة، والحكم الرقيقة، والتجارب الحكيمة: الشيء الكثير والخير الوفير.

وقد أمتع مصنِّفُه به العقولَ إمتاعًا، حتى صار اللذة في الخلوة، والسلوة عند الهم، فإن كان زهر البستان ونور الجنان يجلوان الأبصار ويمتعان الألحاظ، فإن

بستان هذا الكتاب يجلو العقل، ويشحذ الذهن، ويحيي القلب، ويقوي القريحة، ويفيد ولا يستفيد، وتصل لذته إلى القلب والعقل والنفس من غير سآمة ولا كبير مشقة.

المآخذ على الكتاب:

وبالرغم من ميزات الكتاب وفوائده غير أن المؤلف رحمه الله تعالى قد وقع في بعض الزلات والمآخذ[1]، ومن باب التسديد والتقريب والتعاون على البر والتقوى نذكرها، فمن المآخذ على الكتاب:

١ ـ أنه لكون المؤلف رحمه الله شافعي المشرب والمأخذ، فقد حصر نفسه في الأخذ والاقتباس من كتب الشافعية في جل الكتاب أو كله، والكتاب تربوي لكل المسلمين، فلو زينه بالنقل عن الآخرين سيما مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وهو بلديهم، ولهم في هذه المادة القدح المعلى، ولربما لو نقل عنهم لحفظ لنا نصوصًا مما ضاع من أعمالهم، وغيرهم الكثير من الكثير.

٢ ـ وكان من تأثير وحصر المؤلف نفسه في نطاق كتب الشافعية أن نقل لنا بعض عقائد المتأخرين منهم وصاغها على أنها العقيدة الصحيحة! والأمر بخلاف ذلك.

---

(١) قال الحريري صاحب المقامات:

واعلم بأنك إن طلبـ ـت مُهَذَّبًا رُمْت الشطط
من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

٣ـ استشهاد المصنف رحمه الله بكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة شأنه في ذلك شأن من سبقه ممن صنف في مثل هذا الفن[١] .

تنبيه: قام الأستاذ محمد مرسي الخولي بنشر قطعة من كتابنا « الدر النضيد » بمجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، وذلك في المجلد العاشر من المجلة ، وهذه القطعة هي فصل في ضبط الكتاب وتصحيحه والعناية به ، معتمداً على النسخة الخطية الموجودة بالمعهد والتي رمزت لها بالرمز (ج) وقد ذكر أنها النسخة الوحيدة للكتاب ، فلعله لم يقف على النسخة الأخرى الموجودة بدار الكتب المصرية ، ولذلك شابها خللٌ يسيرٌ ، وتلك عادة عمل البشر[٢]، والله أعلم .

تنبيه ثان: ذكرت بعض المصادر أن العلموي[٣] رحمه اللّه صنع مختصراً لكتاب «الدر النضيد» وقد طُبع هذا المختصر قديمًا بدمشق ، ولكن لم أقف عليه إلى الآن .

---

(١) ولعل عذر المصنف في ذلك أن كتابه في باب الآداب والأخلاق ، وليس في الأحكام الشرعية والعقائدية والتي يجب فيها الاعتماد على الأحاديث الصحيحة والحسنة فقط ، وقد ذكر طائفة من أهل العلم أنه لا بأس بذكر رواية الأحاديث والآثار الضعيفة في مثل هذا الباب وغيره كفضائل الأعمال والترهيب والترغيب وغير ذلك ولكن ينبغي أن يبين ضعف الأحاديث المرفوعة حتى لا ينسب إلى النبي ﷺ شيءٌ لم يقله ، ولا شك أن الاعتماد على بعض الروايات الضعيفة خيرٌ من الاعتماد على مناهج الفلاسفة والمتكلمين والمناطقة وأشباههم ، والله أعلم .

(٢) وقد قيل :

ومن الذي تُرجى سجاياه كلها ... كفى بالمرء فخراً أن تُعد معائبه

(٣) ترجم له المحبي في «خلاصة الأثر» .